مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية - سلسلة الآداب و العلوم الإنسانية المجلد (20) العدد (13) 1998
Tishreen University Journal for Studies and Scientific Research – Arts and Humanities Series Vol. (20) No (13) 1998

خصائص قصيدة الاعتذار المعنويَّة والفنيَّة من الجاهلية حتى نهاية العصر الأمويّ

اشراف الدكتور: عبد الكريم يعقوب*
إعداد: علي أحمد عبد الله**

(قبل للنشر في 1998/12/2)

☐ ملخص ☐

يدرس هذا البحث خصائص قصيدة الاعتذار المعنوية والفنية حتى نهاية العصر الأموي، فيقف وقفة متأنيَّة عند المعاني العامة التي اتفق فيها معظم شعراء الاعتذار، كالخوف والهلع والقلق، والتبرّؤ ودفع التّهمة، وتكذيب الوشاة والشكوى، والتودد، والاستعطاف و الاسترحام، والعفو والاستغفار، والحزن والنّدم، ويقف وقفة أخرى عند الخاصة التي تفرد بها بعض شعراء الاعتذار في العصر الجاهلي، وصدر الإسلام، وعصر بني أميّة.

* مدرس بكلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم اللغة العربية - جامعة تشرين -اللاذقية - سوريا.
** طالب دراسات عليا بكلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم اللغة العربية - جامعة تشرين -اللاذقية - سوريا.

مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية - سلسلة الآداب و العلوم الإنسانية المجلد (20) العدد (13) 1998
Tishreen University Journal for Studies and Scientific Research – Arts and Humanities Series Vol. (20) No (13) 1998

THE CHARACTERISTICS OF APOLOGY POEM ABSTRCTLY AND ARTISTICALY SINCE PRE-ISLAMIC TILL THE END OF OMAYAD EPOCH

Supervised by Dr. Abdul Karim YAACOUB*

Preared by :Ali ABDALLAH**

(Accept 2/12/1998)

❐ ABSTRACT

This paper looks into the semantic and artistic features of the poetry of 'apology' up to the close of the Umayyad period. It closely investigates the general shared meanings characteristic of almost all poets of 'apology'; fear and anxiety , self- defense, the refutation of claims and accusations, currying favours to people in power, entreaties and supplications, sadness and remorse. This paper, also, points out the specific meanings exclusively voiced by some poets of 'apology' in the Jahili period, the first part of the Islamic Age, and the Umayyad period

* Lecturer at the Department of Arabic language, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria.

** High studies student in Arabic language department – Faculty of Arts and Human Sciences – Tishreen University – Lattakia – Syria.

المقدمة:

أدبنا العربي غني بشعر الاعتذار منذ نشوئه، وشعر الاعتذار متفرع من قصيدة المدح، وغالباً ما يكون شعر الاعتذار حديثاً قصيراً إذا ما قورن بشعر المديح، والعلة في ذلك قِلَّة قصائد الاعتذار نفسها من جهة، وتشابه الأركان الفنية في قصائد الاعتذار وقصائد المديح من جهة ثانية، ومع ذلك فقد حققت قصائد الاعتذار في الجاهلية، وقصيدة كعب بن زهير (البردة) في صدر الإسلام قدراً صالحاً من التطور والاكتمال، وملمحاً واضحاً من التميز، وبدت في ثوبها الرافل، ثم راحت تتحول إلى مقطعات على أيدي شعراء صدر الإسلام، والعصر الأموي. ولا يختلف بناء قصيدة الاعتذار عن بناء قصيدة المدح اختلافاً كبيراً، فهما تبنيان على ثلاث أركان فنية في معظم الأحيان، وهي : حديث الطلل، أو الهم والشكوى، أو النسيب، وحديث الرحلة، والمدح والاعتذار

لقد تميزت قصيدة الاعتذار حتى نهاية العصر الأموي بخصائص معنوية ميَّزتها عن غيرها، والتقى شعراء الاعتذار عبر العصور الثلاثة: الجاهلي، وصدر الإسلام، والأموي، في قصائدهم حول معانٍ عامة، مزجوا فيها بين صفات المدح والاعتذار.

ولما كان المعتذَر منه غالباً من أصحاب الجاه والسلطان، كان لزاماً على الشاعر المعتذر أن يُدَقِّقَ في معانيه من خلال اعتذارياته الشعرية.

وكثيراً ما تفرَّد بعض الشعراء المعتذرين عبر العصور الثلاثة، بخصائص معنوية خاصة، ولا سيما عندما يعتذر واحدهم من الرسول(ص)،فيصفه بالبشير والنذير.

وتعدَّدت المعاني العامة لدى شعراء الاعتذار، ويمكن أن نبوِّبها وفق العناوين الآتية:

1. الخوف،والهلع والقلق.
2. التبرؤ ودفع التهمة.
3. تكذيب الوشاة والشكوى.
4. التودد.
5. الاستعطاف والاسترحام
6. العفو والاستغفار.
7. الحزن والنَّدم.

وحرص الشعراء المعتذرون دائماً على نيل رضا المعتذرين منهم للفوز بالعفو، فنرى طرفة بن العبد يناله الخوف والهلع والقلق من الملك عمرو بن هند، فيعتذر إليه شاكياً[1]

أخشى عقابك إنْ قدَرْت ولمْ أعْدِلْ فيؤثَرَ بيننا الكَلِمُ

---

[1] ديوانه ص 106

أما النَّابغة الذبياني فيصوِّر نفسه في قبضة الملك، ولامهرب له من عقابه، فهو تحت سيطرة الملك النعمان بن المنذر مهما بعدت المسافة، فالشاعر واقع في شركه وهو من صيده، فيقول[2]:

فإنَّكَ كاللَّيلِ الَّذي هُوَ مُدْرِكي وإن خِلْتُ أنَّ المنتأى عنكَ واسعُ

ونرى كعب بن زهير ترتعد فرائصه خوفاً من عقاب الرسول(ص) الذي كان قد أهدر دمه، يقول[3]:

لأقَدِ أقومُ مقاماً لو يقومُ بهِ أرى وأسمعُ ما لو يسمعُ الفيلُ

لظَلَّ يُرْعَدُ إلاَّ أنْ يكونَ لهُ مِنَ الرسولِ بإذنِ اللهِ تنويلُ

فهو خائف مضطرب لما قد يناله، والمخرج الوحيد هو كسب رضا الرسول(ص) للنجاة من المصير الذي ينتظره.

وكثيراً ما حاول شعراء الاعتذار التبرؤ من ذنب اقترفوه، أو مما نُسِبَ إليهم أحياناً، فيؤكد لنا النابغة برائته من أقوال الوشاة فادّعاؤهم باطل، وهو يستخدم القسم ليقطع الشك باليقين، فهو يقسم بالله، ويصور لنا مدى تخوفه إذا صدَّق الملك النعمان أقوال هؤلاء الوشاة[4]:

حلفتُ فلمْ أترُكْ لنفسكَ ريبةً وليسَ وراءَ اللهِ للمرءِ مذهبُ

لئنْ كنتَ قدْ بُلِّغتَ عنِّي خيانةً لمبلغُكَ الواشي أغشُّ وأكذبُ

أما الحطيئة فيعتذر إلى الخليفة عمر بن الخطاب لرد التهمة عنه، وهو يلجأ إلى تكذيب الوشاة فهو يشكو منهم ومن كيدهم يقول[5]

ولا تأخذنِّي بقولِ الوشاةِ فإنَّ لكلِّ زمانٍ رجالا

فإنْ كانَ ما زعموا صادقاً فسيقتْ إليكَ نسائي رجالا[6]

---

[2] ديوانه ص 38.
[3] شرح ديوانه ص 20
[4] ديوانه ص 72.
[5] ديوانه ص 335
[6] رجالا: جمع رَجْلة أي راجلة.

ولقد شكا الشعراء المعتذرون لسبب أو لآخر من الوشاة ومن كيدهم، فعَدِيّ بن زيد يعتذر للملك النعمان أثناء حبسه راداً التهُمة الموجهة إليه، فهو يقسم بالأيمان ليؤكد كذب الوشاة وبطلان ما ادعوه، يقول[7]:

سعى الأعداءُ لا يألون شرّاً ... عليَّ وربِّ مكّةَ والصليبِ

أرادوا كي تمهّلَ عن عَدِيٍّ ... ليسجنَ أو يدهدهَ في القليبِ

ويعتذر مازن الطائي إلى الرسول(ص) في تودد، فقد اعتنق الدين الإسلامي، وترك عبادة الأوثان، ووحَّد الأحد الفرد الصمد، فجاء الرسول(ص) مادحاً معتذراً ليكفِّر عن نفسه ما كان قد فعله[8]:

إليكَ رسولَ اللهِ خَبَّتْ مطيتي ... تجوبُ الفيافي منْ عُمانَ إلى العَرْجِ

إلى معشرٍ خالفتُ في اللهِ دينهم ... فللهِ ما صومي واللهِ ما حجّي

ويستعطف علد الله الزبعري الرسول(ص) لنيل رضاه وعفوه، فهو يقدم اعتذاره هذا إلى الرسول(ص) لأن الشاعر كان في ضلال، والآن عاد إلى الحق والهدى راجياً مغفرة الرسول(ص)له، فهو راحمٌ ومرحوم، يقول[9]

إني لمعتذرٌ إليكَ من الذي ... أسديتُ إذ أنا في الضَّلالِ أهيمُ

فاغفرْ فِدىً لكَ والداي كلاهما ... زللي فإنَّكَ راحمٌ مرحومُ

فالشاعر يدل على اعترافه بذنوبه، والتراجع عن هيامه في الضلال، لعله يغفر له ذنوبه وخطاياه، ويظفر بعفو الرسول(ص) ورضاه، ونراه يفديه بوالديه معاً، وينعته بنعوتٍ دينية.

ويطلب كعب بن زهير عفو الرسول(ص) والمغفرة منه طمعاً في رضاه، وإعتاق دمه في اعتذاريته، الملقَّبة بالبردة، يقول[10]:

أنبئْتَ أنَّ الرسولَ اللهِ أوعدني ... والعفوُ عندَ رسولِ اللهِ مأمولُ

مهلاً هداكَ الذي أعطاكَ نافلةَ الـ ... ـقرآنِ فيها مواعيظٌ وتفصيلُ

---

[7] ديوانه ص 38-39.
[8] إمتاع الأسماع للمقريزي 247/4.
[9] شعره ص 45-46 ويرد البيت الثاني بروايات أخرى منها: والديَّ ذنبي..
[10] شرح ديوانه ص 19.

والشاعر علم بوعيد الرسول له، وهو إهدار دمه، ولكنه مع ذلك يأمل أن يحظى بعفو الرسول(ص) وصفحه عنه، وهو يترجاه قائلاً: تمهل فأنت الرسول الهادي أنزل الله عليك القرآن الكريم، وفيه المواعظ والعِبَر، وتبيان الحق من الباطل.

وقد يفعل الشاعر ما يغضبُ المعتذَر منه، فيحزن ويندم على فعلته، ويحاول الاعتذار لمن أساء لعلَّه يعفو عنه، ويغفر زلته، فنرى أبا خِراش الهذلي يعتذر إلى الخليفة عمر بن الخطاب بحزن عميق، يقول[11]:

ألا مَنْ مبلغٌ عني خراشاً ... وقد يأتيكَ بالنبأ البعيدُ

فردَّ إناءهُ لا شيءَ فيهِ ... كأنَ دموعَ عينيهِ الفريدُ

تلك بعض المعاني العامة التي اشترك فيها بعض الشعراء المعتذرين.

وانفرد غير شاعر بمعانٍ خاصة به، لم يشترك غيره معه فيها، فكعب بن زهير- مثلا- يصف الرسول(ص) بأنه المفوض من الله تعالى، وبأنه نور، فهذا معنى خاص لا يمكن لغير الرسول(ص) أن يتصف به يقول[12]

إنَّ الرسول لنورٌ يستضاء به ... مهنَّدٌ من سيوفِ اللهِ مسلولُ

ويعتذر ضرار بن الخطاب الفهري إلى رسول الله (ص) واصفاً إياه بنبي الهدى، وما جاء به هو الحق، يقول[13]

يا نبيَّ الهُدى إليكَ لجَا حَيْـ ... ـيٌ قريشٍ ولاتَ حينَ لجَاءِ

حينَ ضاقتْ عليهمُ سَعَةُ الأر ... ض، وعاداهمُ إلهُ السَّماءِ

فهو ينادي الرسول(ص) واصفاً إياه بنبي الهُدى، فهو الملجأ، وهو الملاذ، فها هي قريش جاءت تحتمي برسول الله(ص) من ذنوبها، معتذرة مما اقترفته من آثام لعد إسلامها بادئ ذي بدء، فقد وقف المشركون ضد الله سبحانه وتعالى بتعنتهم وكبريائهم وصلفهم.

---

(11) ديوان الهذليين 170/2.
(12) شرح ديوانه ص 23.
(13) ديوانه ص 43.

ويعتذر الحطيئة إلى الخليفة عمر بن الخطاب، فهو أفضل رجالات قريش بعد الرسول(ص) للخلافة، فيما يرى[14]

أمينَ الخليفةِ بعدَ الرسولِ ... وأوفى قريشٍ جميعاً حبالا

أتتني لسانٌ[15] كذبتُها ... وما كنتُ أحذرُها أنْ تقالا

فجئتُكَ معتذراً راجياً ... لعفوكَ أرهبُ منكَ النكالا

فلا تسمعَنْ بي مقالَ العدا ... ولا تُوكِلَنّي لهُديْتَ الرجالا

فالحطيئة يرى في الخليفة عمر بن الخطاب انه أحقّ رجالات قريش بالخلافة بعد رسول الله(ص)، وأوفاهم،فلقد وصلت الشاعر رسالة فلم يصدقها، وقد أسرع الشاعر إلى الخليفة معتذراً راجياً منه العفو والمغفرة، فهو يخاف عقابه، وهو يرجوه ألاّ يصدّق ما قاله أعداؤه فهم وشاة كذّابون.

أمّ عبد الله بن الحجّاج فيفد على عبد الملك بن مروان، يعتذر منه لفعلة كان ابنة قد أتى بها، فهو النجيب، وهو المختار، وهو الذي كشف الظلمات بالهدى، يقول[16]

يابنَ أبي العصي ويا خَيرَ فتًى ... أنتَ النجيبُ والخيارُ المصطفى

أنتَ الذي لم تدَعِ الأمرَ سدًى ... حين كشفتَ الظلماتِ بالهُدى

جيْبَتْ قريشٌ عنكمُ جَوْبَ الرَّحى ... هل أنتَ عافٍ عن طريدٍ قدْ غوى

فتجبرَ اليومَ به شيخا ذوى ... يعوي معَ الذّئبِ إذا الذّئب عوى

ويعتذر الفرزدق إلى هشام بن عبد الملك فبصفه بأنه خير أهل الأرض، فهو يجير من يطلب منه جيرته، يقول[17]

إلى خيرِ أهلِ الأرضِ مَنْ يستغيثُ به ... يكنْ مثلَ مَنْ مَرَّتْ لهُ طيرُ أسعُدِ

فإنَّ أميرَ المؤمنين محيطةٌ ... يداه بأهلِ الأرضِ من كلِّ مرصَدِ

فلا رفعت،إنْ قلتُ التي روَوَا، ... عليَّ ردائي، حين ألبسُهُ، يدي

فلا تتركوا عذري المضيعَ ببائهُ ... ولا تجعلوني في الرّكيّةِ كالرَّدى

---

[14] ديوانه ص 253.

[15] اللسان: هنا: الرسالة

[16] الأغاني 13/168-169، والأبيات في"شعراء أمويون" ص314-315

[17] ديوانه ص 129

فالشاعر يغدق على المعتذر منه الخليفة هشام بن عبد الملك الصفات الحميدة، فهو خير أهل الأرض كافة فهو يغيث الملهوف، ومن يستجير به يُجار، وهو سعيد محظوظ، وينعته بالنعوت الدينية، بل ينعته بأكبر رتبة دينية وهي إمرة المؤمنين، وللخليفة سطوة وجولة وباع طويلة، ثم يدعو الشاعر على نفسه بالأذى والموت إن كان قد صَحَّتْ الرواية الكاذبة فيه، والوشاية التي وشاها ضده الأعداء، ثم يخلص إلى التَّرجِّي بالعفو عنه والفوز برضاه.

ولقد تميزت قصيدة الاعتذار حتى نهاية العصر الأموي بخصائص فنية مميزة، بنائية وأسلوبية، تجلت لنا من خلال دراسة تلك الاعتذاريات في الجاهلية، وصدر الإسلام، والعصر الأموي. فقد رحل شعراء الاعتذار في اعتذارياتهم، فحديث الشاعر عن الطّلل تصوير لحاضر أو واقع يعيشه الشاعر،وهو في كلِّ الأحيان غيرُ مُرْضٍ، وهذا ما يبعثه على الرحلة، فالرحلة تلي الطّلل، لأنها نتيجة منطقية، فهي هروب من الواقع ووسيلة للتغيير والتجديد وبلوغ الغاية، التي تتمثَّل في معظم الأحيان بشخص الممدوح المعتذَر منه، فعنده وبالاتصال به تتحقق الحياة المنشودة.

ومن هنا كانت الرحلة في القصيدة الجاهلية، وبخاصة في قصيدة الاعتذار محفوفة بالأخطار والأهوال، تعترض الصعوبات، ويشقى فيها الحيوان الوحشي الذي تُشَبَّه به الناقة، والذي يخوض صراعاً قد يكون دموياً في بعض الأحيان من أجل النّجاة، وبلوغ نهاية الرحلة، والرحلة ترمز إلى معاناة الشاعر، والانتقال من واقع مرير إلى الهدف المنشود، وهو المديح الممزوج بالاعتذار، الذي قد يمهِّد لبلوغ ما يطمح إليه شعراء الاعتذار من عفو ورضا المعتذَر منهم.

وبعد أن يتحدث الشاعر عن الأطلال والرحلة، ينتقل غالباً إلى المديح، مديح الشخص المعتذر منه لنيل رضاه، وبعدها يمزج معاني المدح بمعاني الاعتذار كي يصل إلى هدفه.

ولقد نضج بناء بقصيدة الاعتذار عند النابغة الذبياني، فلنتأمل معلقته، وهي اعتذارية مشهورة قدمها للملك النعمان بن المنذر، ومطلعها:[18]

يا دارَ مَيَّةَ بالعلياءِ فالسَّنَدِ أقوتْ وطال عليها سالفُ الأبدِ

تمتد معلَّقته الاعتذارية إلى تسعة وأربعين بيتاً. إنه يبدأ قصيدته بالحديث الطّللي في ستة أبيات، منها: [19]

وَقفتُ فيها أصَيلانا أسائلُها عَيَّتْ جواباً ومَا بالربْعِ من أحدِ

---

[18] ديوانه ص 14

[19] ديوانه ص 14، 16

إلى أن يقول:

أمْسَتْ خلاءً وأمسى أهلها احتملوا أخْنى عليها الذي أخْنى على لُبَدِ

فهو يسّمي لنا المواطن والديار، ويقف يسألها، وهي لا تجيب، ويذكر لنا محبس الدَّابة، والأرض الصَّلبة والنؤي، ثم يخلص إلى أن يرى ديار الأحبة وهي خاوية على عروشها، فقد رحلوا، ولم يبقى منهم إلا آثارهم.

وينتقل بعدها إلى وصف ناقته التي يتَّخذها وسيلة للرحلة من البيت السَّابع حتى التاسع عشر، حيث يقول:[20]

فعَدِّ عمَّا ترى إذ لا ارتجاعَ لهُ وانمِ القُتودَ على عيرانةٍ أجُدِ

إلى أن يقول: [21]

قالتْ له النَّفس إنّي لا أرى طمعاً وإنَّ مولاكَ لم يسلمْ ولم يَصِدِ

فالشاعر يصف لنا عنائه في رحلته الشاقة، ليصل بعدها إلى ملك الحيرة النعمان بن المنذر، ويمدحه بأروع القصائد الخالدة على مرّ الزمان، يقول فيه مادحاً:[22]

فتلك تبلغني النعمان، إنَّ له فضلاً على الناس في الأدنى وفي البعد

فقد امتد فضل النعمان ليس إلى النابغة فحسب، بل وصل إلى الناس كافةً، ثم يصل بعد ذلك كلّه إلى الاعتذار ،يقول:[23]

فلا لعمرُ الذي مَسَّحْتُ كعبتَهُ وما أُريق على الأنصاب من جَسَدِ

ما قلْتُ مِن سيِّئٍ ممَّا أتيتَ بهِ إذاً فلا رفعَتْ سوطي إليَّ يدي

فالشاعر يستخدم القسم لتوكيد مقالته(فلا لعمرُ الذي...)ويقسم بالدَّم المسفوح على الأنصاب، وهو قسم جاهلي، كلُّ ذلك لينفي ما ادعاه الوشاة، وهو يتمنى الموت إن كان قد أساء للملك النعمان من قريب أو من بعيد.

فهو يدعو على نفسه بشلِّ يده إن كان قد أتى بشيء يكرهه الملكُ النعمان، أو أساءَ إليه من قريب أو من بعيد.

---

(20) ديوانه ص 16.
(21) ديوانه ص 20.
(22) ديوانه ص 20.
(23) ديوانه ص 25.

ويمتد اعتذار الشاعر حتى يصل إلى البيت الثالث والأربعين حيث يقول في هذا السياق:[24]

أنبئْتُ أنَّ أبا قابوسَ أوعدني ... ولا قرارَ على زارٍ منَ الأسدِ

مهلاً فداءٌ لكَ الأقوامُ كلُّهُمُ ... وما أثمِّرُ من مالٍ ومنْ ولدِ

لا تقذفني بركنٍ لا كفاءَ لهُ ... وإنْ تأثَّقكَ الأعداءُ بالرِّفدِ

فالشاعر يصور لنا المعتذر منه بالأسد الضَّاري قوَّة وشجاعةً وهيبة، فهو لا محالة بين يديه وتحت تصرفه، ولا مفرَّ من تنفيذ حكمه الذي يرغبه، فالمعتذرَ منه غاية في القوّة، والمعتذِر الشاعر ليس له إلاّ طلب العفو والرّضا لينجو بروحه التي هي أغلى ما عنده.

فالشاعر يفدي النعمان بنفسه وماله وولده، ويدعو على نفسه بالموت إن كان قد أتى بشيء يسيء له، كلّ ذلك لإرضائه، والحفاظ على مصلحة قومه عنده

ثم ينتقل إلى المديح ثانية لأنه السبيل الوحيد لقبول الاعتذار، يقول:[25]

فما الفراتُ إذا هَبَّ الرِّياحُ لهُ ... ترمي غواربُهُ العِبْرَيْنِ بالزَّبَدِ

يَمُدُّهُ كلُّ وادٍ مُتْرَعٍ لجِبٍ ... فيهِ ركامٌ من الينبوتِ والخَضَدِ

يوماً بأجْوَدَ منهُ سَيْبَ نافلةٍ ... ولا يحولُ عطاءُ اليومِ دونَ غدِ

إلى أن يقول:[26]

هذا الثناءُ فإنْ تسمعْ بهِ حسناً ... فلمْ أعَرِّضْ أبيتَ اللَّعْنَ بالصَّفَدِ

ثم يخلص إلى الاعتذار من الملك النعمان مسلِّماً أمره له، فالملك يفعل به ما يشاء، وله الأمر، يقول:[27]

ها إنَّ ذي عِذْرةٌ إلاَّ تكنْ نفعَتْ ... فإنَّ صاحبها مشاركُ النَّكَدِ

فتلك القصيدة الاعتذارية موجهة إليك أيُّها الملك، فإن قبلتها فهذا ما أطمح إليه، وإلاَّ فإنني حزين بائس نكد، لأنَّ الشّاعر الوحيد هو رضا الملك عليه، وإلا فالوبال سيحلُّ به. فالشاعر أعلم بوعيد النعمان له، وأنّى له المهرب؟!

ويسير كعب بن زهير في اعتذاريته للرسول(ص) على نهج آخر مختلف عن النابغة الذبياني، فقصيدة كعب بن زهير المسماة(البردة)، التي يعتذر فيها إلى الرسول(ص) لا يوجد

---

[24] ديوانه ص 26.
[25] ديوانه ص 26-27.
[26] ديوانه ص 27
[27] ديوانه ص 28.

فيها طلل، بل نسيب وتشبيب، فكعب شبَّب في مطلع قصيدته، ومن ثمَّ رحل، ومن ثم انتقل إلى المديح، فالاعتذار.

تعتبر قصيدة كعب بن زهير اللامية من أشهر قصائد الاعتذار في صدر الإسلام، فهو يعتذر فيها من الرسول(ص)، وكان قد أهدر دمه، فلما سمعها الرسول(ص) عفا عنه، وأعطاه بردته، فسميت قصيدة (البردة) لهذا السبب.

وتتألف اعتذارية كعب بن زهير هذه من خمسة وخمسون بيتاً في رواية السكري، وهي تبدأ بالنسيب، ومطلعها[28]

بانتْ سعادُ فقلبي اليومَ متبولُ متَّيمٌ إثرَها لم يُجْزَ مكبولُ

ويطول النسيب في القصيدة حتى يصل إلى ستة عشر بيتاً حيث يقول[29]

ترمي الغُيُوبَ مُقْرِدٌ لهَق إذا توقَّدَتِ الحُزَّانُ والمِيلُ

ثم يصف الناقة وصفاً دقيقاً ومسهباً، حيث يقول في البيت السابع عشر:[30]

ضَخْمٌ مقلَّدُها فَعْمٌ مقيَّدها في حَلْقِها عنْ بناتِ الفحلِ تُفْضِلُ

ويمتد وصف الناقة عنده إلى البيت الثاني والثلاثين، حيث يقول:[31]

يسعى الوشاةُ بجنبيْها وقولُهُمُ إنَّكَ يابنَ أبي سُلْمَى لمَقْتولُ

ثم ينتقل بعدها ليصف لنا حال أصدقائه، فالجميع قد نخلى عنه، يقول في البيت الثالث والأربعين مبيِّناً لنا حال هؤلاء:[32]

وقالَ كلُّ خليلٍ كنتُ آملُهُ لا ألفينَّكَ إنِّي عنْكَ مشغولُ

ثم يصف لنا حاله، وقد استسلم لمشيئة الله، فالإنسان ميت لا محالة، وأمره إلى الله يفعل به ما يشاء، يقول:[33]

فقلتُ خلُّوا سبيلي لا أبالكمُ فكلُّ ما قدَّرَ الرحمنُ مفعولُ

كلُّ ابنِ أنثى وإن طالت سلامته يوماً على آلةِ حدباءَ محمولُ

ثم ينتقل في البيت السادس والثلاثين إلى الاعتذار من الرسول(ص)، يقول:[34]

أنبئْتُ أنَّ رسولَ اللهِ أوعدني والعفوُ عندَ رسولِ اللهِ مأمولُ

---

(28) ديوانه ص 6.
(29) ديوانه ص 10.
(30) ديوانه ص 10.
(31) ديوانه ص 19.
(32) ديوانه ص 19.
(33) ديوانه ص 19
(34) ديوانه ص 19

ويمتد الاعتذار حتى يصل إلى البيت السابع والأربعين من القصيدة، حيث يقول:[35]

ولا يـــزال بواديـــه أخـــو ثقـــةٍ مطـــرَّحُ البَـــزِّ والدَّرســـانِ مـــاكولُ

فنرى كعب بن زهير، يرجو الرسول(ص) معتذراً، مبيِّناً له كذب الوشاة، راجياً عـدم الأخذ بأقوالهم، ويصور لنا خوفه الشديد من العقاب الذي ينتظره، فقد يواجه المـوت، إذا لـم يعفُ عنه الرسول(ص)، يقول:[36]

لـــذاكَ أهيـــبُ عنـــدي إذْ أكلِّمُـــهُ وقيـــلَ إنَّـــكَ مســـبوٌّ ومســـؤولُ

مـن ضيغمٍ مـن ضـراءِ الأسْـدِ مُخْـدَرُه بـــبطنِ عَثَّـــرَ غيـــلٌ دونَـــهُ غِيـــلُ

وبعد الاعتذار ينتقل كعب إلى المدح، يقول:[37]

إنَّ الرســـولَ لســـيفٌ يُستضـــاءُ بـــهِ مهنَّـــدٌ مـــن ســـيوفِ اللهِ مســـلولُ

وينتقل بعد مدح الرسول(ص) إلى مدح المهاجرين حتى نهايـة القصـيدة، فيصـفهم بالشجاعة، يقول:[38]

لا يقـــعُ الطعـــنُ إلاَّ فـــي نحـــورهمُ مَـا إنْ لهـم عـن حيـاضِ المـوتِ تهْليـلُ

فلمّا سمعت الأنصار هذه القصيدة، شَقَّ عليهم حيث لم يـذكرهم مـه إخـةانهم مـن المهاجرين، فكلموا النبي(ص)، فأمنه، وقالوا: ألا ذكرتنا مع إخواننـا مـن قـريش؟! فمـدحَ الأنصارَ بقصيدة ثانية مطلعُها:[39]

مَـنْ سَـرَّه كـرمُ الحيـاة فـلا يـزَلْ فـي مِقْنَـبٍ مـن صـالحي الأنصـارِ

وهناك قصائد اعتذارية مقصورة على المديح والاعتذار، فقد تجاوز أصحابها حـديث الطلل والنسيب معاً، فمدحوا،واعتذروا مباشرة، وتجلَّت في اعتذاراتهم الوحـدة العضـوية أو المعنوية تجلياً يكاد يكون كاملاً، مثل اعتذارية الفرزدق لهشام بن عبد الملك التي مطلعها:[40]

إنْ أســـتطِعْ منـــكَ الـــدنوَّ،فإنَّنـــي سَـــأدنو بأشـــلاءِ الأســـيرِ المقيَّـــدِ

ومن يدقق في أساليب التعبير في قصائد الاعتذار، يرى أنَّ النابغة الذبياني قد تفـوق في هذا الفن،ويلاحظ براعة عَدِي بن زيد في الاعتذار والاستعطاف.

وقد اعتمد شعراء الاعتذار حتى نهاية العصر الأموي في أساليبهم على التشبيه لأنـه يعينهم في رسوم صورهم التي تجسد مشاعرهم وقلقهم وخوفهم، مثل النابغة الذبياني، وعَدِي بن زيد العبادي، وكعب بن زهير وغيرهم.

---

(35) ديوانه ص 23.
(36) ديوانه ص 21.
(37) ديوانه ص 23، والرواية الأعلى: إن الرسول لنورٌ...
(38) ديوانه ص 25.
(39) ديوانه ص 25
(40) ديوانه ص 128 وفي بيت خرم.

الخاتمة:

بعد هذه الدراسة نخلص إلى النتائج الآتية:

- إن شعر الاعتذار قديم في شعرنا العربي، وهو مبثوث مع شعر المديح غالباً
- تعدَّدت المعاني العامَّة لدى شعراء الاعتذار عبر العصور الثلاثة: الجاهلي، وصدر الإسلام، والعصر الأموي، كالخوف والهلع والقلق، والتبرّؤ ودفع التهمة، وتكذيب الوشاة والشكوى، والتودد إلخ...
- نجح بعض شعراء الاعتذار في اعتذارياتهم فنجو من الموت، وفشل آخرون فَعُذِّبوا أو قتلوا...
- كانت قصائد الاعتذار طويلة في العصر الجاهلي أكثر من غيرها، وكذلك كانت بردة كعب بن زهير في صدر الإسلام، أما في العصر الأموي، فقد تحولت إلى مقطَّعات قصيرة، وما عادت أشعار الاعتذار تستأثر بقصائد ذات بناء فني متميز كما كان الأمر عليه من قبل
- رافق الاعتذار المديح غالباً،وكذلك لأنَّ المديح يرضي المعتذَر منه أكثر من أي شيء آخر،ويمهد لقبول الاعتذار بأساليبه المتنوعة.

المـــصـــادر والـــمـــراجـــع

- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني-بإشراف محمد أبو الفضل إبراهيم-الهيئة العامة للتأليف والنشر عام 1970م
- إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأموال والحفدة والمتاع-المقريزي- أحمد بن علي-طبعة محمود شاكر 1941م.
- ديوان الحطيئة-تحقيق د.نعمان محمد أمين طه- نشر مكتبة الخانجي القاهرة-الطبعة الأولى 1407هـ،1978م.
- ديوان ضرار بن الخطّاب الفهري-جمع وتحقيق د.فاروق سليم-طبع دار صادر- بيروت -الطبعة الأولى 1996م.
- ديوان طرفة بن العبد-تحقيق دريّة الخطيب ولطفي الصقّال-طبع مجمع اللغة العربية بدمشق عام 1975م.
- ديوان عَدِيّ بن زيد العبادي- تحقيق وجمع محمد جبار المعيبد- نشر دار الجمهورية للطبع والنشر بغداد 1965م.
- ديوان الفرزدق- تحقيق محمد إسماعيل الصاوي- مطبعة الصاوي-1936م.
- ديوان النابغة الذبياني- تحقيق محم أبو الفضل إبراهيم- دار المعارف بمصر.
- ديوان الهذليين- نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب- نشر دار القومية للطباعة والنشر – القاهرة- 1382هـ،1965م.
- شرح ديوان كعب بن زهير- نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية 1369هـ، 1950م.
- شعراء أمويون- نور حمودي القيسي- طبع عالم الكتب، ومكتبة النهضة العربية- بيروت- الطبعة الأولى 1405هـ، 1985.
- شعر الأحوص الأنصاري، جمع وتحقيق عادل سليمان جمال- طبع الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر 1970م
- شعر عبد الله بن الزبعرى-تحقيق د.يحيى الجبوري- طبع مؤسسة الرسالة- بيروت- الطبعة الثانية 1401هـ، 1981م.